

الترجمة نشاط ثقافي وسياسي جماعي وليست مهنة فردية

«مكتوب» مشروع يناهض الاستعمار بترجمة الأدب العربي إلى العبرية



الترجمة أداة ثقافية - سياسية

إسرائيلية سمحت لنفسها أن تترجم وتنتشر نصوصاً لكاتب عربي دون الحصول على موافقتهم على ذلك، وقد عارضنا هذه الإصدارات بشدة. نحن نعي الظروف والإشكاليات والنقاشات حول مسألة الترجمة إلى العبرية، ونحترم توجهات الناشر والكاتب ومواقفهم في حال رفضوا الترجمة، لكن نسرنا أكثر موافقة الكتاب والكاتب على أن نترجم أعمالهم بعد أن يدركوا خصوصية مشروعنا وهويته وتوجهاته وأهدافه وأهميته السياسية والثقافية».

مشروع «مكتوب» يسعى للوصول إلى نطاق أوسع من جمهور القراء، لتعزيز التحدي الثقافي - السياسي الذي تثيره الكتب

وعن كيفية تعامل الصحافة الأدبية في إسرائيل مع هذه الإصدارات التي قدمها المشروع، وإن كانت قد نالت مقابلات أو مراجعات في الصحف العبرية، توضح الهيئة أن غالبية إصداراتهم حصلت على مراجعات في الصحف العبرية، ولاقت اهتماماً في أهم الملاحق الثقافية والأدبية، مستدركة أن هناك كتباً حصلت على اهتمام أكثر من غيرها وكتب حولها العديد من المراجعات، خصوصاً كتاب «أولاد الغيتو» لإلياس خوري، وكتاب «بلسان ميثورة» و«عجائب الآثار في التراجم والأخبار» للجبرتي. أم عن اهتمام القارئ الإسرائيلي بإصدارات «مكتوب»، فيشير القائمون على المشروع إلى أن هناك تفاوتاً بين الكتب، إذ هناك كتب وصلت منها الآلاف من النسخ للقراء ولاقت نجاحاً باهراً ومفاجئاً، فيما كتب أخرى لاقت اهتماماً أقل على مستوى القراء في العالم، لكنها لاقت اهتماماً من قبل النخب الأكاديمية والأدبية والمهتمين بالدراسات التاريخية.

ويسعى مشروع «مكتوب» في هذه المرحلة للوصول إلى نطاق أوسع من جمهور القراء، لتعزيز التحدي الثقافي السياسي الذي تثيره هذه الكتب.

أدب فلسطيني مترجم إلى العبرية والذي يجمع ثلاثاً وسبعين قصة من تأليف سبعة وخمسين كاتباً وكاتبة فلسطينيين من الداخل، ومن قطاع غزة، والضفة الغربية والشتات الفلسطيني.

كما نُشروا السنة الماضية ترجمة لرواية «شلومو الكردي وأنا والزمن» للكاتب اليهودي العراقي سمير نقاش. كما أصدر «مكتوب» ترجمات لكتب وروايات تاريخية أبرزها كتاب الشهير «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» لعبد الرحمن الجبرتي، وكتب «عام الجراد: الحرب العظمى ومحو الماضي العثماني من فلسطين» ليوميات جندي مقدسي عثماني 1915 - 1916 الذي حرره الباحث الفلسطيني المعروف سليم تماري.

وفي الشهر صدرت عن «مكتوب» ترجمة لكتاب «الزويمات - ديوان لزوم ما لا يلزم» لأبي العلاء المعري، وكراريس شعرية والمجموعة الشعرية «لا أملك إلا الأحلام: مختارات من الشعر الإيزيدي». ولديهم كذلك مشروع «الكراريس»، المكرس لشعراء وكتاب فلسطينيين، والذي قدموا ضمنه كراسة شعر «لجنة وحبل غسل» للشاعرة رجاء غانم دنف، وكراسة قصص قصيرة جداً «روتين» لمحمود شقير، وكراسة «مسرحة أيام التنظيم» لأمين كامل اغبارية.

تحدي ثقافي - سياسي

هناك بعض دور النشر في إسرائيل أصدرت أعمالاً أدبية من دون الحصول على موافقة المؤلفين، لكن هيئة تحرير مشروع «مكتوب» توضح أن لديها سياسة واضحة، بموجبها لا تتم ترجمة دون الحصول، على الأقل، على موافقة للترجمة من الكاتب أو الكاتبة أو ورثتهم. وتضيف «نحن نعتقد أن الترجمة من دون الحصول على موافقة سرقة أدبية وجريمة ثقافية - سياسية، وقد أعلننا موقفنا الرافض لهذا الأمر في عدة أحداث تبين فيها أن دور نشر

وتتكون هيئة التحرير المصغرة من المحرر الرئيسي يهودا شنيهاشهراباني (عالم اجتماع نقدي معروف ومناهض للاستعمار ومناصر للفضيحة الفلسطينية، مترجم وكاتب مؤلف كتاب «اليهود العرب») والمحرر المساعد الكاتب والمترجم إيداد برغوشي، والمحرر المساعد يوني مند (الباحث في علم اجتماع اللغة والمعارض للمفاهيم الاستشراقية بتدريس اللغة العبرية) والمترجم كفاح عبدالحليم ومركزة التحرير حنان سعدي.

وحول ما إذا كان «مكتوب» دار نشر أم سلسلة كتب تصدر عن ناشرين مختلفين، تفر هيئة التحرير أنه سلسلة كتب، وأن كل القرارات وسيرورة العمل حول الكتب تتخذ وتنفذ من قبل هيئة التحرير المصغرة بصورة مستقلة ومهنية تماماً، من اختيار الكتب، وإجراء المراجعات، والتحرير، وحقوق النشر وحتى إنتاج الكتاب، كما تتم الاستعانة بعدة دور نشر بالأساس من أجل توزيع الكتاب على المكتبات وجمهور القراء.

تنطلق إلى أبرز العناوين التي أصدرها المشروع حتى الآن، ليقر مسيروه أنهم منذ العام 2017 أصدروا ما معدله أربعة كتب سنوياً، أبرزها مجموعة من الترجمات لأعمال أدبية روائية وقصصية، فلسطينية وعربية، ذات صلة بالسردية التاريخية الفلسطينية والعربية في السياق الاستعماري، وهي «زمن الخيول البيضاء» لإبراهيم نصرالله، «أولاد الغيتو - اسمي آدم» و«تجمة البحر» و«مجمع الأسرار» لإلياس خوري، «ذاكرة الجسد» لأحلام مستغانمي، وقصة الأطفال «الأولاد يضحكون» لكرية تامر.

كما أصدرت كتب «الرسائل» لمحمود درويش وسميح القاسم، وكتاب «ماش على الريح» لسلمان تاظور (الكاتب الفلسطيني الراحل، وهو أحد مؤسسي سلسلة مكتوب)، ورواية «بردقانة» للكاتب الفلسطيني إيداد برغوشي. ومن أهم إصداراتهم أيضاً كتاب «بلسان ميثورة:

أكدت هيئة تحرير مشروع «مكتوب» التخصص في ترجمة الأدب العربي إلى اللغة العبرية على أهمية الترجمة كفعل ثقافي وسياسي في مواجهة الاستعمار والمغالطات التاريخية وغيرها. وهو ما تستمر فيه بشكل جماعي، رغم الجدل الذي يثار حول الترجمة إلى العبرية، من دون أن يكون أصحابه ملزمين بالتفاصيل والأهداف. في ما يلي حوار مع هيئة تحرير مشروع «مكتوب» مع مجلة بانبيال التي تصدر باللغة الإنجليزية، في حديث حول أهم قضايا الترجمة.

لندن - نشرت مجلة بانبيال في العدد رقم 70 ربيع 2021 مقابلة مع هيئة التحرير المشرفة على مشروع «مكتوب» لترجمة ونشر الأدب العربي بالعبرية في حديث لتوضيح الكثير من النقاط الهامة حول الترجمة الأدبية من العبرية إلى العربية والتي تشوبها عدة مغالطات.

بداية يتطرق في الحديث مع هيئة تحرير «مكتوب» عن أهمية هذا المشروع وأسباب اختياره لترجمة الأدب العربي إلى العبرية، حيث يبين القائمون على المشروع أنه مشروع ثقافي مستقل مخصص لترجمة وإتاحة الأدب العربي إلى اللغة العبرية، تأسس في العام 2016 بمبادرة مشتركة لشخصيات ثقافية فلسطينية ويهودية مناهضة للاستعمار.

وأضافت هيئة التحرير «يرى مشروع «مكتوب» أنه بترجمة وإتاحة الأدب العربي والفلسطيني إلى قراء العبرية مقاومة لنظام الفصل والعلاقات الاستعمارية بين اليهود والفلسطينيين، وبضمنها واقع الإبرتهاد اللغوي حيث أن 99 في المئة من اليهود الإسرائيليين لا يستطيعون قراءة نص أدبي بالعربية، وأقل من 1 في المئة من الكتب المترجمة للعبرية هي كتب عربية، وحيث يسود مبنى القوة الاستعماري على العلاقة بين اللغتين، وتهيمن النظرة الاستشراقية الإسرائيلية تجاه الثقافة والمنطقة العربية، ويقوم الإعلام الإسرائيلي بالتحريض الإعلامي والعنصري والتقديم السطحي لها، وحيث يتم إنكار التاريخ الفلسطيني والنكبة في المناهج الدراسية والمؤسسات الأكاديمية».

الترجمة ليست فردانية

ينظر مشروع «مكتوب» إلى الترجمة كنشاط ثقافي وسياسي جماعي، وليس كهنة فردانية محايدة و«شفافة»، وكفعل في العالم يسعى إلى تغييره. وتتم الترجمة في «مكتوب» من خلال نموذج خاص يميزها عن كل مشاريع الترجمة الأخرى، وهو نموذج ثنائي القومية وثنائي اللغة، حيث يأخذ المحررون والمترجمون الفلسطينيين الذين يجيدون اللغة العبرية، دوراً مركزياً في المشروع بكل مراحله. كما أن نموذج عمل «مكتوب» يدمج «الصوت» في سيرورة الترجمة، ويعتمد أسلوب نقل حرفي للكلمات العربية بالعبرية مختلفاً عن أساليب النقل الحرفي السائدة، وهي أساليب استعمارية تم اعتمادها لكي تلاثم «الأذن» اليهودية العربية.

مشروع سلسلة «مكتوب»، كما تذكر هيئة تحريره، هو مشروع ثقافي مستقل غير تجاري ولا يتوخى الربح، ولا تربطه أدنى علاقة مع أي جهة رسمية أو حكومية. فيما يرصد ربح مدخولات الكتب المترجمة لتمويل ترجمة وإصدار كتب إضافية، من العربية إلى العبرية، ومشاريع ثقافية فلسطينية محلية.

الآرامية والبابلية والسريالية كلها لهجات عربية

الذين عملوا في دراسة لغات المنطقة وعلى النقوش والآثار هم بمعظمهم كانوا غربيين يهود متدينين، ومنطلقاً من أنهم كان يدافعون عن لغة المقدس المعتمد على التوراة، الذي كانوا يعتبرونه أصلاً وما سواه تابعاً له حتى اللغة العبرية حين ابتدئ بدراساتها كانت تدرس كتاب وليست كلفة مستقلة. ويوضح الباحث السوري أن كثيراً من المستشرقين الرواد لم يكونوا يتقنون نطق لغات المنطقة العربية، مما أثر أيضاً على قراءة الكتابات الأثرية ومقارنتها مع اللهجات الأخرى وضعف تاصيلهم للكلمات العربية، وتدوينهم الصوتي لها بالأحرف اللاتينية، ما أنتج بحونا مغلوطة.

وبين القبيسي أن هناك خرافات تصور الشعوب التي سكنت المنطقة كالأكاديين والفينيقيين والكنعانيين بأنها شعوب غير عربية، وأن الفتح الإسلامي أتى بالضيوف العرب إلى المنطقة، وهذا زيف تاريخي افتراه النمساوي شلوتز حتى بدأ باستخدام لفظة الشعوب السامية بغية إعطائها سمة غير عربية.

ولفت الباحث إلى أنه قام بتعبئة هذا الوهم في كتابه «ملاحم في فقه اللهجات العربيات»، وقدم الأدلة من الرقم والمخطوطات المادية لإثبات أن الآرامية والبابلية والسريالية وغيرها لهجات عربية وأن تفاوت بعضها واختلافه عن المؤلف العربي هما مسألة لهجات فقط.

كما أشار إلى أن فلسفة التاريخ تعتمد على المنطق أولاً ثم المنهج التجريبي ثانياً، ووحدة اللغة والجغرافيا أو المادة التاريخية ثالثاً التي يجب أن تخضع لعدة تحارب، أولاً معرفة الحرف وأشكاله، ومكان وجود النقش.

أما المنهج الثاني الذي تناوله القبيسي فهو المنهج التجريبي الذي حدد فيه أن أسماء المدن والقرى والأماكن في الوطن العربي تحمل ثلاثة مداليل لا رابع لها فنجد أن 80 في المئة من الأسماء تقريباً تحمل معنى طبيعياً (مناخياً أو طوبوغرافياً) كاسم جسرين مثلاً، و10 في المئة من الأسماء تقريباً تحمل معنى دينياً كاسم بابل، رام الله، و10 في المئة من الأسماء تقريباً تحمل معنى عسكرياً كاسم دمر، حرسنا.

أما المنهج الثالث الذي تطرق إليه فهو «وحدة اللغة والجغرافيا»، إذ بين أن اللغة هي كشاف ومسبار الشعوب، متسائلاً كيف حدّد لنا المستشرقون الشعوب الآرية والشعوب الحامية والشعوب السامية حسب مبدئهم؟ مجيباً في نفس الوقت «قطعاً من وراء اللغة، وقد عدوا السنسكريتية هي هندوأوروبية، فإذا أخذنا موضوع الأنتروبولوجيا (الأناسة) فشكل الإنسان الأوروبي عملياً لا يتوازن مع الأنتروبولوجيا في الهند، إذا، اللغة هي مسبار وكشاف الشعوب».

وعرض القبيسي نقوشاً مكتشفة في أوروبا مكتوبة باللغة الآرامية والكنعانية وفسر كلمات وأسماء مدن وقرى مكتوبة باللهجات العربية والآمازيغية الأمر الذي عده مؤشراً على وحدة اللغتين وقال: إن أكثر مفردات اللغة الآمازيغية كنعاني الأصل.

دمشق - يعتبر البعض أن شبه الجزيرة العربية هي مهد لغة الضاد والعرب عموماً وأما بلاد الشام والرافدين فهي موطن شعوب أخرى ولغات مختلفة كالفينيقية والآشورية والبابلية والسريانية، فيما يرى آخرون أن جذر هذه الشعوب واللغات أو اللهجات واحد هو اللغة العربية الأم.

ويؤمن الباحث السوري محمد بهجت القبيسي بوجهة النظر الثانية، وهذا ما أكده في ندوة بعنوان «نشأة اللغة والبتها ومقاربة موضوعية بين العربية واللهجات القديمة»، والتي انطلقت أخيراً في المركز الثقافي العربي ببيروت. وبين القبيسي أستاذ اللغة الآرامية والكنعانية في بعض الجامعات العربية أن مصطلح اللغة الأم يطلق على اللغة الأقدم وهي العربية الفصحى، وأن لها لهجات فرعية، آرامية وعمورية وبيلاوية وآشورية وميتانية وسريانية وسواها من اللهجات القديمة استقت منها الحروف والمعاني.

وأوضح القبيسي في الندوة التي أقيمت بالتعاون مع دار المدى الثقافية بالذلال والوثائق التاريخية من لقيات أثرية وبحوث لعلماء آثار غربيين التقارب اللغوي في جذور الكلمات السريانية والعربية وبين تلك اللهجات المذكورة والعربية مثبتاً بالبحجج والبراهين أن العربية هي الأساس الذي استقت منه تلك اللغات كلماتها ومعانيها وأن الفصحى هي الأم لتلك اللغات.

العربية الفصحى هي اللغة الأقدم وهي الأم لعدة لهجات مثل الآرامية والآشورية والبابلية والآشورية والسريانية وغيرها

كما لفت إلى نشأة اللغة عموماً والحاجة إليها والبتها الأولى وتطورها الدلالي عبر الزمن وعلاقة اللغة بالمكان وانتداع شعوب تلك المناطق لأصل واحد ولغة واحدة هي اللغة العربية، معتبراً أن من يعمل على تشويه تلك الحقيقة إنما يخدم بذلك الفكر الصهيوني الذي يعمل على تشتيت المنطقة للسيطرة الكاملة عليها وعلى شعوبها.

ويواصل القبيسي التأكيد على ما جاء في كتابه «ملاحم في فقه اللهجات العربيات»، وهو عبارة عن ملاحم من فقه اللغات المسماة بالسامية، يحدد فيها المبادئ الأولية اللغوية لهذه اللغات وخصائصها، ومقترحاً منذ بداية البحث ضرورة تسميتها باللهجات العربيات، بدل اسم السامية، معتبراً أنها تنحدر جميعها من لغة عربية أم قديمة، وذلك لأسباب يذكرها في كتابه، مقدماً أدلته وبرهانه على أهمية ما يطرحه باللقي الأثرية والحجة والدليل.

ويلفت إلى أن أول من أوجد النظرية السامية هو المستشرق اللاهوتي شلوتز من القرن الثامن عشر مستمداً إياها من التوراة مع عدم وجود ما يعضد التسمية في أي من النقوش الأثرية، وأن



محمد بهجت القبيسي: اللغة كشاف الشعوب

